كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر
البلاذري
المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م

الجزء الخامس

نسب بني عبد شمس بن عبد مناف

حققه وقدم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

الجزء الخامس

نسب بني عبد شمس بن عبد مناف

أمر يزيد بن معاوية :

وأمّا يزيد بن معاوية فكان يُكنى أبا خالد .

حدثني العُمَري عن الهيثم بن عَديّ عن ابن عيّاش وعَوانة وعن هشام ابن الكلبي عن أبيه وأبي مخنف وغيرهما قالوا : كان يزيد بن معاوية أوّلَ من أظهر شُرْبَ الشراب والاستهتارَ بالغناء والصيد واتّخاذ القيان والغلمان والتفكّه بما يضحك منه المَترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والديكة ثم جرى على يده قتل الحسين ، وقَتْلُ أهل الحَرّة ، ورَمْيُ البيت وإحراقه ، وكان مع هذا صحيح العُقْدة فيما يَرَى ، ماضيَ العزيمة لا يهمّ بشيءٍ إلّا ركبه .

قالوا : ووقع بين غلمان يزيد وغلمان عمرو بن سعيد الأَشْدق شرٌّ فأغضبه ذلك ، وأمر بإحضار أولئك الغلمان ، فلما أُتِي بهم قال : خلّوا سبيلهم فإنّ القُدرة تُذهِب الحفيظة .

المدائني قال : دعا يزيد بأُمّ خالد لينالَ منها فأبطأت عليه ، وعرضت له جاريةٌ سوداء من جواريه فوقع عليها ، فلما جاءت أمّ خالد أنشأ يقول ؛

اسْـلَمـي أُمَّ خـالِـدِ رُبَّ سـاعٍ لِـقـاعِـدِ
إنَّ تِـلْكَ الـتي تَـرَيْـنَ سَبَتْنـي بِـوارِدِ
تُـدْخِـلُ الأيْـرَ كُلَّـهُ في جِـرٍ غَـيْرِ بـارِدِ

المدائني والهيثم وغيرهما قالوا : كان ليزيد بن معاوية قرد يجعله بين يديه ويكنيه أبا قيس ويقول : هذا شيخ من بني اسرائيل أصاب خطيئة فمُسخ ، وكان يسقيه النبيذ ويضحك مّما يصنع ، وكان يحمله على أتان وَحْشيّة ويُرسلها مع الخيل فيسبقها ، فحمله عليها يوماً وجعل يقول :

تَمسَّكْ أبا قَيْسٍ بفَضْلِ عِنانِها فليس عليها إن هَلَكْتَ ضَمانُ
فقد سَبَقَتْ خَيْلَ الجَماعَةِ كُلَّها وخَيْـلَ أميرِ المُؤْمِنـينَ أتـانُ

وذكر لي شيخ من أهل الشام أنّ سبب وفاة يزيد أنّه حمل قرده على الأتان وهو سكران ، ثم ركض خلفها ، فاندقّت عُنقه أو انقطع في جوفه شيء .

وحدثني محمد بن يزيد الرفاعي حدثني عمّي عن ابن عيّاش قال : خرج يزيد يتصيّد بحُوّارين وهو سكران ، فركب وبين يديه أتان وحشيّة قد حمل عليها قرداً وجعل يُركض الأتانَ ويقول :

أبا خلفٍ إحْتَلْ لِنَفْسكَ حيلةً فليس عليها إن هَلَكْتَ ضمانُ

فسقط فاندقّت عُنقه .

قالوا : وكان يزيد هَمَّ بالحجّ ثمّ إتيانِ اليمن فقال رجل من تنوخ :

يَزيدُ صَديقُ القِرْدِ مَلَّ جِوارَنا فحَنَّ إلى أرْضِ القُرودِ يزيدُ
فتَبّاً لِمَنْ أمْسَى علينا خَليفَةً صَحابَتُهُ الأدْنَوْنَ منْهُ قُـرودُ

المدائني قال : كان يزيد ينادم على الشراب سَرْجون مولى معاوية .

وليزيد شعر منه قوله :

وَلهـا بـالمـاطِـرونِ إذا أَكَـلَ النَمْـلُ الـذي جَمَعا
مَنـزلٌ حَتّى إذا ارْتَبَعَـتْ سَكَنَـتْ مِن جِلّقٍ بِيَعـا
في جِنـانٍ ثَمَّ مُـؤْنِقَـةٍ حَـوْلَها الزَيْتونُ قـد يَنَعا

وقال لأمّ خالد :

إذا سِرْتُ مِيلاً أو تَخَلَّفْتُ ساعَةً دَعَتْني دَواعي الحُبِّ مِن أمِّ خالِدِ

وقال أيضاً :

إني إذا ما جِئْتُكُمْ أُمَّ خالِدٍ لَذو حاجَةٍ عنها اللسانُ كَليلُ

وقال أيضاً :

إذا اتَّكأْتُ عَلَى الأَنْماطِ في غُرَفٍ بِدَيْرِ مُرّانَ عندي أُمُّ كُلْثومِ
فلا أُبالي بما لاقَتْ جُموعُهُمُ بِالقَرْقَذونَةِ مِنْ حُمّى ومِن مومِ[1]

وكان ناس غازين فأصابهم وباء ومرض وجوع فلما بلغ معاويةَ شعره قال : والله ليغزونّ ولو مات ، فأغزاه بلادَ الروم ومعه فُرْس أَنْطاكِية وبَعْلَبَكّ وغيرهم فلحق بسفيان بن عَوْف بالقَرْقَذونة فغزا حتى بلغ الخليج ثم انصرف . وأمّ كلثوم بنت عبدالله بن عامر .

المدائني قال : دخل عبدالله بن جعفر على يزيد فقال : كم كان أبي يُعطيك في كلّ سنة ؟ قال : ألف ألف ، قال : فإنّي قد أضعفتُها لك ، فقال

١ ـ تقدم هذا الخبر ، والقرقذونة من بلدان بيزنطة في آسيا الصغرى هي Chalidon .

ابن جعفر : فداك أبي وأمّي ووالله ما قُلتها لأحد قبلك ، قال : فقد أضعفتُها لك ، فقيل أتُعطيه أربعة آلاف ألف ؟! فقال : نعم إنّه يفرّق ماله ، فإعطائي أيّاه إعطائي أهلَ المدينة .

قالوا : وكان يزيد آدمَ جعداً معصوباً[1] أحور العينين طُوالاً بوجهه أثرُ جُدَرِيٍ ، ويقال كان أبيض وكان حسن اللحية خفيفَها .

المدائني عن أبي عبد الرحمن العبدي عن عبد الملك بن عُمَيْر قال : قال رجل لسعيد بن المسيّب : أخبِرْني عن خُطباء قريش قال : معاوية ، وابنه يزيد ، ومروان ، وابنه ، وسعيد بن العاص وابنه ، وما ابن الزبير بدونهم .

قالوا : وأخطأ يزيد في شيء فقال له مؤدبّه : اخطأتَ يا غلام فقال يزيد : الجواد يعثر ، فقال المؤدّب : أي والله ويُضرَب فيستقيم ، فقال يزيد : أي والله ويضربُ أنْفَ سائسه .

المدائني عن عبد الرحمن بن معاوية قال ، قال عامر بن مسعود الجُمَحي : إنّا لبِمكة إذْ مرّ بنا بريدٌ ينعى معاويةَ ، فنهضنا إلى ابن عبّاس وهو بمكة وعنده جماعة وقد وُضعت المائدة ولم يُؤتَ بالطعام فقلنا له : يا أبا العبّاس ، جاء البريد بموت معاوية فوجم طويلاً ثم قال : اللهمَّ أوْسِعْ لمعاويةَ ، أما والله ما كان مِثْلَ مَنْ قَبْلَه ولا يأتي بعده مِثْلُه ، وإنّ ابنه يزيد لَمَن صالحي أهله فالزموا مجالسكم وأعطُوا طاعتكم وبيعتكم ، هاتِ طعامك يا غلام ، قال : فبينا نحن كذلك إذ جاء رسول خالد بن العاص وهو على

---

١ ـ المعصوب الجائع جداً ، والعصب : اتساخ الأسنان من غبار ونحوه ، وجفاف الريق في الفم . القاموس .

مكة يدعوه للبيعة فقال : قل له أقض حاجتك فيما بينك وبين مَن حضرك فإذا أمسينا جئتُك ، فرجع الرسول فقال : لابدّ من حضورك فمضى فبايع .

المدائني قال : تزوّج يزيد بن معاوية فاخِتة وهي حَبَّة بنت أبي هاشم بن عُتْبة بن ربيعة فولدت له : معاوية ، وخالداً ، وعبدالله الأكبر ، وأبا سفيان ؛ وتزوّج أمّ كلثوم بنت عبدالله بن عامر فولدت له : عبدالله الأصغر الذي يقال له الأُسوار ، وعمر ، وعاتكة أمّ يزيد بن عبد الملك ؛ وتزوّج امرأة من غسّان فولدت له رَمْلة ؛ ففي فاختة يقول :

اسْلَمي أُمَّ خالدٍ رُبَّ ساعٍ لقاعدِ

وفي أمّ كلثوم يقول :

إذا اتّكأْتُ عَلَى الأَنْماطِ في غُرَفٍ بِدَيْرِ مُرّانَ عِنْدي أُمُّ كُلْثومِ

وكان قد وجد على أمّ خالد بنت [أبي] هاشم وكان لها مؤثِراً فتزوّج في حِجّةٍ حَجها أمّ مِسْكين بنت عمر بن عاصم بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وقال :

أراكِ أُمَّ خالدٍ تَضجّينْ باعَتْ على بَيْعِكِ أُمُّ مِسْكينْ
مَيْمونَةٌ مِن نِسْوَةٍ مَيامينْ زارَتْكِ مِن طَيْبَة في حُوَّارينْ
في بَلْدَةٍ كُنْتِ بها تَكونينْ فالصَبْرُ أُمَّ خالِدٍ مِنَ الدينْ
إنَّ الذي كُنْتِ بِهِ تُدِلّينْ ليس كما كُنْتِ به تَظُنّينْ

وطلّق يزيد أمّ مِسْكين فتزوّجها عبيدالله بن زياد ، وإنّما رضيت به مغايَظةً ليزيد ، فقُتل عنها ابن زياد ، فخطبها محمد بن المنذر بن الزبير فتزوّجته ثم نافرته وقالت : إنّي والله ما تزوّجتك رغبةً فيك ، ولكني أردتُ أن أغسلَ سوءةً كنتُ وقعت فيها .

المدائني عن يعقوب بن داود أنّ عَطاء بن أبي صَيْفي بن نَضْلَة بن قائف الثَقَفي دخل على يزيد وقد مات معاوية فقال : أصبحتَ يا أمير المؤمنين فارقتَ الخليفةَ وأُعطيتَ الخلافة ، فأجَرَكَ الله على عظيم الرَزيّة ، ورَزَقك الشكرَ على حسن العطيّة ، فاحتذى ابن همّام مِثالَه في هذا النثر فنظمه فقال :

اصْبِرْ يَزيدُ فَقَدْ فارَقْتَ ذا ثقةٍ وَآشكُرْ عطاءَ الذي بِالمُلْكِ أَصْفاكا
أَصْبَحْتَ لا رُزْء في الأَقْوامِ نَعْلَمُهُ كما رُزِئْتَ ولا عُقْبى كَعُقْباكا
أُعْطِيتَ طاعَةَ أهلِ الأَرْضِ كُلِّهِمُ فأَنْتَ تَرْعاهُمُ والله يَرْعاكا
وفي مُعاويةَ الباقي لنا خَلَفٌ إذا هَلَكْتَ ولا نَسْمَعْ بِمَنْعاكا

وقال أيضاً :

تَعزَّوْا يا بَني حَرْبٍ بِصبرٍ فمَنْ هذا الذي يرجو الخُلودا
تلقّاها يَزيدُ عن أَبيهِ فخُذها يا مُعاوِيَ عن يَزيدا
أُديروها بني حَرْبٍ عليكُمْ ولا تَرْموا بها الغَرَضَ البعيدا
وإنْ دُنْياكُمْ بكُمُ استقَرَّتْ فأَوْلوا أَهْلَهَا أَمْراً سَديدا
فإن شَمَستْ عَليكُمْ فَاعصِبوها عِصاباً تُسْتَدَرُّ[1] لكُمْ شديدا

وقال أيضاً أو غيره :

يَزيدُ يا بن أَبي سُفْيَان هل لَكُمُ الى ثَناءٍ ووُدٍّ غيْرِ مُنصرمِ
إنا نَقولُ وَيَقْضي الله مُقْتَدِراً وما يَشَأْ رَبُّنا من صالِحٍ يَدُمِ
فاقتدْ بقائلكم خُذْها يَزيدُ وقُلْ خُذْها مُعاويَ غَيْرَ العاجزِ البَرمِ

---

١ - العصب : شد فخذي الناقة لتدر . القاموس .

ولا تحُطَّ بها في غَيْرِ دارِكُمُ　　إنّي أخافُ عليكُمْ حَيْرَةَ النَدَمِ
إنَّ الخِلافَةَ إن تُعْرَفْ لِثالثكُم　　تَثْبُتْ مَعادِنها فيكُمْ ولا تَرِمِ
ولا تَزالُ وُفودٌ في دِياركُمُ　　في ظِلِّ أَبْلَجَ سَبّاقٍ الى الكَرَمِ

فبايع يزيد لابنه معاوية ، ويقال إنّه إنّما بايع له حين احتُضر يزيد .

وكان على شرطة يزيد حُميد بن حُريث بن بَحْدَل ثم عامر بن عبدالله الهَمْداني من أهل الأُرْدُنّ .

المدائني عن أبي عمرو المدني قال : وفد جرير بن عَطِيّة بن الخَطَفى على يزيد ووفد شعراء سواه ، فخرج إليهم الآذِن فقال : إنّ أمير المؤمنين أمرني ألاّ أُدخِل اليه إلاّ مَنْ عرف شعره فأنشِدوني ، فقال جرير : أنا الذي أقول :

تَعَرَّضْتُ فاستمررْتَ مِن دونِ حاجتي　　فحالَكَ إنّي مُسْتَمِرٌ لِحالِيا
وإنّي لَمَغْـرورٌ أُعلَّلُ بِـالمُنى　　لَياليَ أدْعو أنَّ مالَكَ مالِيا
بأيِّ نجادٍ تحمِلُ السيْفَ بعدما　　قَطَعْتَ القُوى من مِحْمَلٍ كان باقِيا
بأيِّ سِنانٍ تطعُن القَوْمَ بعدما　　نَزَعْتَ سِناناً من قَناتك ماضيا[1]

فدخل فأنشده الأبيات فقال : أُدْخل صاحبها ، فقال له : من أنت ؟ قال : جرير بن عَطِيّة بن الخَطَفى اليَربوعي قال : انّي سمعت أبياتك هذه عائِرةً ولم أَدْرِ لمن هي ، فعَاتبتُ أمير المؤمنين معاويةَ يوماً فأَنشدتهُ إيّاها وهو يرى أنها من قولي ، ووصل جريراً .

---

١ ـ ديوان جرير ص ٤٩٨ ـ ٥٠٢ .

المدائني قال : قدم عبد الرحمن بن زياد من خراسان فأمره يزيد أن يعطي عبدالله بن جعفر خمسمائة ألف درهم فأعطاه ألف ألف درهم فقال : خمسمائة من يزيد ، وخمسمائة مني .

المدائني عن عليّ بن مجاهد عن هشام بن عُروة قال : كان عبدالله بن صفوان مع عبدالله بن الزبير فذمّ يزيد واغتابه فقيل له ألم تبايعه ؟ قال : انّي وجدت في البيعة له عَواراً فرددتُها .

أبو الحسن المدائني عن أبي أيّوب القرشي قال : لما قدم [....] يزيد بن معاوية كتب إليه أن أحملْ إليَّ ابن همّام السَلولي ، وكان قد وجد عليه في قصيدته التي يقول فيها :

حُشينا الغَيْظَ حتّى لو شَرِبْنا دِمـاءَ بني أُمَيَّةَ مـا رَوِينا

فأخذه ابن زياد فسأله أن يكفله عريفه ، وكان اسم العريف مالكا ، ففعل ، وهرب ابنُ همام وأُخِذَ عريفه به ، وقدم على يزيد فعزّاه عن معاوية وهنّاه بالخلافة وأتى ابنه معاوية فاستجار به ، فآمنه يزيد وصفح عنه ، وكتب إلى ابن زياد يأمره أن لا يعرض له وأوصاه به ، فقال ابن همّام حين رجع :

جَعَلْتَ الغَـوانيَ من بالِكـا ولم يَنْهكَ الشَيْبُ عن ذالكا
أَقـولُ لِعُثمـانَ لا تَلْحُني أَفِقْ عُثْمَ عن بَعْضِ تَعْذالِكا
غَريبٌ تَـــذَكَّرَ إخوانَـــهُ فهـاجوا لـه سَقماً نـاهكا
وكَـرَّهـني أرْضـكُـم أنّـني رَأَيْتُ بهـا أَسَـدَاً نـاهِكا
فلَمّـا خَشِيتُ أظـافيـرَهُ نَجـوتُ وأرْهَنْتُهم مـالِكـا
عَـرِيفاً مُقيمـاً بدارِ الهَوانِ أهـوِنْ علـيَّ بـه هـالِكا
ويَمَّـمتُ أَبْيَضَ ذا سُؤدَدٍ عـلا ذِرْوَةَ المَجْدِ والحـارِكا

فلَمّـا أَنَخْـتُ إلى بـابِـهِ رأيـتُ خليـفَـتَـنـا ذالـكـا
فقلت أجرني أبـا خـالـدٍ وإلّا فَهَبْني آمْـرَءاً هـالِكـا
فجادَ بنا ثُمَّ قُلْتُ آعطِفي بنـا يا صَفِي ويـا عاتِكـا
فـأَطَّتْ لَنـا رَحِمٌ بَـرَّةٌ ولم يَحْقِرِ النَسَبَ الشابِكـا
فكَمْ فُرِجَت بِكَ من كُرْبَةٍ ومِنْ حلْقَةٍ عِنْد أبْـوابِكا
وكـان وراءكَ ضِرْغـامـةٌ تُوائـل منـه بحَوْبـائِكـا
فَيَا ابْنَ زيادٍ وكُنْتَ آمْرءاً كَما زَعَموا عـابِـداً ناسِكـا
فـإنَّ مَعي ذمَّةً من يَـزيدَ وإنّي أعـوذُ بِـإسلامِكـا
مِنْ آن أظْلمَ اليْومَ أَوْ أنْ تُطِيع بِيَ الكـاذِبَ الآثِمَ الآفِكا
فلَوْلا الثِقـالُ شفـاعـاتُهُمْ وَعَهْـدُ الخَليفَـةِ لم آتِكـا
فقَدْ خطَّ لي الرَقّ فيه الأَمانُ إليـك مَخـافَـةَ أنْبـائِكـا
فـلا تَخْفِرَنْـهُ فقَدْ خطَّ لي رُقىً من مَخافَةِ حَيّـاتِكـا
وأحْضَرْتُ عُذْرا عليهِ الشُهودُ إنْ قـابلاً ذاك أو تـارِكـا
وقَد شهدَ الناسُ عند الإمام أنّي عَـدُوٌّ لأعْـدائِكـا

وقال الهيثم بن عديّ وابن الكلبي عن عوانة : كتب يزيد لابن همّام بالرضا عنه وبجائزة فبسطه وآنسه وأطلق عريفه ، وكان حبسه إذْ لم يُعد همّام اليه لِيَتولَّى حمله إلى يزيد وهرب ، وأمر كاتبيه عمرو بن نافع وحسّان مولى الأنصار أنْ يدفعا إليه جائزته ، فكان عمرو يدافعه وحسّان يعينه عليه ، فدخل ذات يوم على ابن زياد فقال : أَلَكَ حاجة ؟ قال :

نَعَمْ حاجةٌ كلَّفْتُها القَيْظَ كُلَّهُ أُراوِحُها البَرْدَيْنِ حَتَّى شَتِيتُها
يُعاوِدُها حسّانُ عَمْرَو بن نافِعٍ فحسّانُ يُحْيِيها وعَمْروٌ يُميتُها

وقال ابن همّام في عمرو بن نافع :

أفي جَرْجَرايا أَنْتَ كَفْنا بْنُ فَرْزَنٍ وفينا أبو عُثْمانَ عَمْرُو بْنُ نافِعِ
وأُنْبِئْتُ في جُوخَا فلا تَتْرُكَنَّهُ بَقِيَّة ميراثٍ لِشَيخك ضائِعِ
ثَلاثَة أَخْـلاقٍ بَلِينَ ومِنْجَلاً وأُمّ جراءٍ تُتَّقى في المراتِـــع
فَلَهْفَا عليكُمْ آل كفْنا بْنِ فَرْزَنٍ فكم كان فيكُمْ من مُثِيرٍ وتارِعِ

وبعضُ الرواةِ يزعم أنّ ابن همام عصى فطلبه ابنُ زياد فأخذ به عريفه فهرب إلى يزيد .

المدائني عن إبراهيم بن حكيم عن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال : دخل عطاء بن أبي صَيْفي الثقفي على يزيد بن معاوية فقال له يزيد : لِمَ تحالفتْ ثقيف فصارت بنو غِيَرَةَ وسعد بن عوف وأسعد بن غاضرة يدا وصارت بنو مالك يداً ؟ و[. . . .] لم يتحالف قوم قط الا عن ذلّة وقلّة ، فقال عمرو بن عبد عمرو : ما رأيتُ قطّ كلاماً أبعد من صواب وسداد ، والله لتكُفَنّ يا بن أبي صَيْفي أو لأَرِدَنّ لك شعاباً يَباباً ، لا تُنبتُ إلّا سَلعاً وصاباً ، فقال عطاء : إنْ ترد شعابي تلْقَها مُكْلِئَةً خِصابا ، تفهَق بمياهها عِذابا ، وتلق أهلها شُوساً غِضابا ، قال : إنْ أَرِدْها أَلقَها قليلا نَداها ، يابساً ثراها ، ذليلا حماها ، خاشعة صُواها ، قال : بل إنْ تَرِدْها تلقها مَريّاً مرعاها ، نَديّا ثَراها ، عزيزاً حِماها ، مُضِرةً بِمِثْلك هَيْجاها ، قال : بل أَلْقَها لِلريح الزَعْزَع ، والذئاب الجُوَّع ، كبَيْداء بَلْقَع ، قال : بل تلقها طَيّبة المَرْتَع ، يضيق بها على مِثْلك المَضْجَع ، فقال يزيد : عنكما فقد أحسنتما وما قلتما فُحْشاً ، فقال عَطاء : يا أمير المؤمنين الأصل مُؤتِلف ، والشَكْل بَعْدُ مختلف ، وأنا بذاك مُقِرّ مُعتَرِف .

المدائني قال ، قال عاصم الجَحْدَري : جاءت بَيْعة يزيد البصرةَ وأنا اكتبُ في مصحف ﴿إذا السَّماءُ انْشَقَّتْ﴾[1] .

المدائني قال : استعمل ابن زياد عبدَ الرحمن بن أمّ بُرْثُن ـ كما يقال فَيْروز حُصَيْنْ ـ وأُمّ بُرْثُن امرأة من بني ضُبَيْعة كانت تعالج الطِيب وتخالط آل عبيدالله بن زياد ، وكان منبوذاً فأخذته وربّته وتبنّته حتى أدرك وصار رجلاً جزلاً له نُبْلٌ وفضل وتألُّهٌ ، ثم كلّمت نساءَ عبيدالله بن زياد فيه فكلّمن عبيدَالله فيه فولاه ، فرمى عبدٌ له ذات يوم بسَفّود فأصاب السفّود رأسَ ابنه فنثر دِماغُه فظنّ أنّه سيقتله فقال له حين أُتي به : اذهب يا بني فأنت حُرّ فإنّك قتلت ابني خطأً ولن اقتلك متعمّداً ، ثم عمي بعد . ولما استعمله ابن زياد ثم عزله أغرمه مائتي ألف درهم فخرج إلى يزيد بن معاوية ، فلما كان على مَرْحلة من دمشق نزل وضرب له خِباءً وحُجْرة ، فإنّه لجالس إذا كلبة من كلاب الصيد قد دخلت عليه وفي عنقها طوق من ذهب وهي تلهث ، فأخذها وطلع يزيد على فرس له ، فلما رأى هيئته أدخله الحجْرةَ وأمر بفرسه أنْ تقاد ، فلم يلبث أن توافت الخيل فقال له يزيد : مَن أنت وما قصّتك ؟ فأخبره ، فكتب له من ساعته إلى عبيدالله بن زياد في ردِّ المائتي الألف عليه ، وأعتق ذلك اليوم ثلاثين مملوكاً وقال : مَنْ أحبَّ أنْ يقيم فليُقِمْ ومَن أحبّ أن يذهب فليذهب .

المدائني قال : هجا فَضالة بن شَريك رجلاً من قريش يقال له عاصم ـ قال المدائني : وأراه عاصم بن عمر ـ فخافه فعاذ بيزيد بن معاوية وقال فيه :

---

١ ـ سورة الانشقاق ـ الآية : ١ .

إذا ما قُرَيْشٌ فاخَرَتْ بِطَرِيفِها فَخَرْتَ بِمَجْدٍ يا يَزيدُ تَليدِ
بِمَجْدِ أَميرِ المُؤْمِنينَ ولم يَزَلْ أبوكَ أمينُ الله جِدَّ رَشيدِ
به عَصَمَ اللهُ الأنامَ مِنَ الرَّدَى وأَدْرَكَ تُبْلاً من مَعاشِرَ صِيدِ

فكتب يزيد إلى عاصم : إنّي قد أجرتُ فَضالة فَهْبه لي ، ووصله .

وقال عبد الرحمن بن الحَكَم أخو مروان في يزيد حين خلعه ابن الزبير :

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ مِنْ إمامِ جَماعَةٍ أَيَضِلُّ رَأْيُكَ في الأُمورِ ويَعْزُبُ
مُتَـوَسِّدٌ إذْ فـالَـذَتْـهُ جَيْـأَل هَلْباءُ أَوْ ضِبْعانُ سُوءٍ أَهلَبُ[1]
أَلْهاكَ بُرْقُعَةُ الضِباعِ عَنِ العَمَى حَتَّى أتاك وأَنْتَ لاهٍ تَلْعَبُ

وحدثني الحِرْمازي عن أبي سُويد الشامي عن أبيه قال : قال يزيد بن معاوية : حِفْظ النديم والجليس وإكرامهما من كرم الخليفة وقضاءِ حقِّ النِعْمة .

وقال المدائني : لاط خالد بن اسماعيل بن الأشعث بغلام له في استه فشهد عليه امرءان من مواليه وامرأتاهما وغلامٌ لم يحتلم فحدّه يزيد وكان ماقتاً له .

قالوا : ومن شعر يزيد قوله :

لَشَرُّ الناسِ عَبْدٌ وابنُ عَبْدٍ وآلَمُ من مشى مولى الموالي

---

١ ـ يقال ذو مطارحة ومفالذة : يفالذ النساء . الجيأل : الضبع والضخم من كل شيء ، وهلباء : شعراء . اللسان والقاموس .

وقوله :

إعْصِ العَواذِلَ وَارْمِ اللَّيْلَ عن عُرُضٍ بِذي سبيبٍ يُقاسي لَيْلَهُ خَبَبا
أَقَبَّ لم يَنْقُبِ البَيْطارُ سُرَّتَهُ ولم يَدِجْهُ ولم يَرْقُمْ له عَصَبا
حَتَّى يُثَمِّرَ مالاً أَوْ يُقالَ فَتىً لاقى التي تَشْعَبُ الفِتْيانَ فَانْشَعَبا
لا خَيْرَ عِند فَتىً أَوْدَتْ مُرُوءَتُهُ يُعْطي المَقادَةَ من لا يُحْسِنُ الجَنَبا[1]

وقال :

وساعٍ يَجْمَعُ الأَمْوالَ جَمْعاً لِيُورِثَها أَعادِيَهُ شَقاءَ
وكم ساعٍ لِيُثْرِيَ لم يَنَلْهُ وآخرُ ما سعى نال الثَّراءَ
ومَنْ يَسْتَعْتِبِ الحَدَثانَ يَوْماً يَكُنْ ذاكَ العتاب له عَناءَ

وقال :

وإنَّ نَديمي غَيْرَ شَكٍّ مُكَرَّمٌ لَدَيَّ وعِنْدي من هَواهُ الذي ارْتَضى
ولَسْتُ له في فَضْلَةِ الكَأْسِ قائلاً لأَصْرَعَهُ سُكْراً تحسَّ وقد أَبَى
ولكِنْ أُحَيِّيهِ وأُكْرِمُ وَجْهَهُ وأَصْرِفُها عنه وأَسْقيهِ ما اشتهى
وَلَيْسَ إذا ما نامَ عندي بِمُوقَظٍ ولا سامِعٍ يَقْظانَ شيئاً مِنَ الأَذَى

وقال يزيد :

اسْقِني مُزَّةً تُرَوِّي مُشاشي وأَدِرْ مِثْلَها على ابن زياد
مَوْضِعِ السِرِّ والأَمانَةِ عِنْدي وعلى ثَغْرِ مَغْنَمي وجهادي

يعني سَلْم بن زياد وكان على خراسان .

---

١ ـ انظر الأصمعيات ص ٤٦ ـ ٥٠ حيث قصيدة لسهم بن حنظلة الغنوي هي الأصل لهذه الأبيات المنسوبة ليزيد .

وكان مسلم بن عمرو الباهلي أبو قُتَيْبة نديماً ليزيد يشرب معه ويغنّيه ، فقال الشاعر حين عُزل يزيد بن المهلّب عن خراسان ووَلِيها قُتَيْبةُ :

شَتّانَ مَنْ بالصّنج أَدْرَكَ والذي بِالسَيْفِ أَدْرَكَ والحُروبُ تُسَعَّرُ

المدائني ، قال : أتى عبد الرحمن بن حسّان يزيدَ فرأى منه جفوة له وإغفالاً فهجاه فقال شعراً استبطأه فيه ، فقال حصين بن نُمير أو مسلم بن عُقْبة : اقتُلْه فإنّ حِلْم أمير المؤمنين معاوية جرّأَ الناسَ عليكم ، فقال : جفوناه وحرمناه فاستحققنا ذلك منه ، فبعث إليه بثلاثين ألف درهم ، فمدحه .

ذكر ما كان من أمر الحسين بن علي ، وعبدالله بن عمر ، وابن الزبير في بيعة يزيد بعد موت معاوية بن أبي سفيان :

قال أبو مخنف وعَوانة وغيرهما : ولي يزيد بن معاوية وعمّال أبيه : على الكوفة النعمان بن بَشير الأنصاري ، وعلى البصرة عبيدالله بن زياد ، وعلى المدينة الوليد بن عُتْبة بن أبي سفيان ، وعلى مكة عمرو بن سعيد الأَشْدَق ـ وقال بعضهم : كان على مكة الحارث بن خالد ، وعلى المدينة الأشدق والأوّل أثبت ـ فلما ولي كتب إلى الوليد مع عبدالله بن عمرو بن أُوَيس ، أحدِ بني عامر بن لُؤَيّ : أمّا بعد فإنّ معاوية بن أبي سفيان كان عبداً من عبيدالله أكرمه الله واستخلفه وخوّله ومكّن له فعاش بقَدَرٍ ، ومات بأَجَل فرحمة الله عليه ، فقد عاش محموداً ، ومات بَرّاً تَقيّاً. والسلام .

وكتب إليه في صحيفة كأنّها أُذْنُ فأره : أمّا بعد فخذْ حسيناً وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخْذاً شديداً ، ليست فيه رُخْصةٌ ولا هَوادة ، حتى يبايعوا والسلام .

قالوا : فلما أتى ابنَ عُتْبة الكتابُ فَظِعَ بموت معاوية وكَبُرَ عليه ، وقد كان مروان بن الحَكَم على المدينة قَبْله ، فلما ولي بعد مروان كان مروان

لا يأتيه إلّا معذّراً متكارهاً حتى شتمه الوليد في مجلسه فجلس عنه مروان ، فلما جاء نَعِيُ معاوية إلى الوليد قرأ عليه كتاب يزيد واستشاره فقال : أُرى أن تَبعَثَ الساعةَ إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة فإن بايعوا قبلت ذلك منهم وإن ابوه قدّمَتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بوفاة معاوية ، فإنّهم إن علموا بها وثب كلُّ امرىء منهم في ناحية ، فأظهر الخلاف والمنابذة ودعا إلى نفسه .

فقال الوليد : أمّا ابن عمر فإنّي أراه لا يرى القتال ولا يختار أن يَلِيَ أمرَ الناسِ إلّا أنْ يُدْفَع الأمر إليه عَفْواً .

وأرسل الوليد عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وهو إذ ذاك غلام ، إلى الحسين وعبدالله بن الزبير يدعوهما فوجدهما جالسَيْن في المسجد وكان إتيانه إيّاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس ولا يأتونه فقال : أجيبا الأمير ، فقالا له : انصرِف الآن نأتِهِ بعد ، ثم أعاد إليهما الرسل وألحّ عليهما ، فأمّا الحسين فامتنع بأهل بيته ومن كان على رأيه ، وفعل ابن الزبير مثل ذلك ، وبعث إليه الحسين أن كُفّ حتّى نَنْظُر وتَنظروا ونرى وتروا ، وبعث ابن الزبير : لا تعجلوا فإنّي آتيكم ، فوجّه الوليد مواليَ له فشتموه وقالوا : يا بن الكاهِلِيّة إن أتيتَ الأمير وإلّا قتلناك ، فجعل يقولُ : الآن أجيء الآن أجيء ، وأتى جعفر بن الزبير الوليدَ فقال له : كُفّ رحمك الله عن عبدالله فقد أفزعتَه وذعرته بكثرة رسلك وهو يأتيك غداً إن شاء الله ، فصرف الوليد رسله عنه وتحمّل ابن الزبير من ليلته ـ وهي ليلة السبت لثلاث ليال بقين من رجب سنة ستّين ـ فأخذ طريق الفُرْع ومعه أخوه جعفر بن الزبير وتجنّبا الطريق الأعظم ، فلما أصبح الوليد طلبه فلم يجده ، فقال

مروان : ما أخطأ مكة ، فوجّه الوليد في طلبه حبيب بن كُرَّة مولى بني اميّة في ثلاثين راكباً من موالي بني أميّة فلم يَلحقوه وتشاغلوا عن الحسين بطلب ابن الزبير ، فخرج الحسين ليلة الأحد ليومَيْن بقيا من رجب سنة ستّين ، وسمع عبدالله بن الزبير جعفرا أخاه يتمثّل ببيت مُتَمِّم بن نُوَيْرة الحَنْظلي :

وكُلُّ بَني أُمٍّ سَيُمْسونَ لَيْلَةً ولم يَبْقَ مِن أَعْقابِهِمْ غَيْرَ واحِدِ

فتَطيَّر ابن الزبير فقال لجعفر أخيه : ما أردت بإنشادك هذا البيت ؟ قال : ما أردت إلاّ خيراً ؛ ونزل ابن الزبير مكة وعليها عمرو الأشدق بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة فقال : إنّما أنا عائذٌ ولم يكن يصلّي بصلاتهم ، ولزم جانب الكعبة فكان يصلّي عندها عامّةَ نهارِه ويطوف ، يأتي الحسينَ بن عليّ فيُشير عليه بالرأي في كلّ يومين وثلاثة أيّام ، وحسين أثقل الناس عليه لعلمه بأنَّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام حسين بالبلد ، لأنّ حسيناً كان أعظم في أنفسهم وأطوع عندهم ، فأتاه يوماً فحادثه ساعة ثم قال : ما أدري ما تَرْكُنا هؤلاء القومَ وكَفُّنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وأولي الأمرِ منهم ، فخبّرني بما تريد أن تصنع ؟ فقال الحسين : والله لقد حَدَّثْتُ نفسي بإتيان الكوفة ، فإنّ شيعتي بها ، وأشراف أهلها قد كتبوا إليّ في القدوم عليهم ، وأستخير الله ، فقال ابن الزبير : لو كان لي بها مثل شيعتكم ما عَدَلْتُ بها ، ثم خشي أن يتّهمه فقال : إنّك لو أقمت بالحجاز ثم أردت الأمر هاهنا ما خُولِفَ عليك إن شاء الله ، ثم خرج من عنده فقال الحسين : ما شيء من أمر الدنيا يُؤْتاه أحبّ إليه من خروجي عن الحجاز لأنّه قد علم أنّه ليس له معي من الأمر شيء .

وبعث الوليد إلى عبدالله بن عمر أن بايْع ليزيد فقال : إذا بايَعَتِ الناسُ بايعتُ ، فتركوه لِثقتهم بزهادته في الأمر وشغله بالعبادة .

وأخذ الوليد ممّن كان هواه مع ابن الزبير وميله إليه : عبدالله بن مُطيع بن الأسود بن حارثة العَدَوي ، وهو ابن العَجْماء ـ نُسب إلى جدّته ، وذلك اسمها ، وهي خُزاعِيّة ـ ومصعب بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُهري فحبسهما ، فاجتمعت بنوعديّ إلى عبدالله بن عمر فقالوا : حُبِس صاحبنا مظلوماً ، وبلغ الوليد ذلك فصار إلى ابن عمر ، فحمد ابن عمر الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه ﷺ ثم قال : استعينوا على إقامة أمركم بالحقّ ولا تطلبوه بالظلم فإنّكم إن استقمتم أُعِنتم وإن جُرتم وُكِلْتم إلى أنفسكم ، كُفّ رحمك الله عن صاحبنا وخلّ سبيله فإنّا لا نعلم لكم حقاً تحبسونه به ، فقال : حبسته بأمر أمير المؤمنين ، فنكتب وتكتبون ، فانصرف ابن عمر واجتمع فتية من بني عديّ فانطلقوا حتى اقتحموا على ابن مُطيع وهو في السجن فأخرجوه ، فلحق بابن الزبير ثم رجع بعدُ فأقام بالمدينة .

وقد رُوي أيضاً أنّ الحسين أتى الوليد فقال له الوليد : قد آن أن تعلم بموت معاوية وهو في مواليه وفتيانه ، فلما رأى عنده مروان ، وقد كانت بينه وبين الوليد تلك النّفرةُ قال : الصلة خير من القطيعة ، والصلح خير من العداوة ، وقد آن لكما أن تجتمعا ، أصلح الله ذات بينكما ، فلم يجيباه بشيء ، وأقرأه الوليد كتاب يزيد ونعى إليه معاوية ، ودعاه إلى البيعة ، فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، رحم الله معاوية وأعظم لك الأجر ، وأمّا البيعة فإنّ مثلي لا يبايع سرّاً ولا أراك ترضَى منّي إلاّ بإظهارها على رُؤوس الناس ، فإذا خرجتَ إليهم فدعوتَهم إلى البيعة دعوتَنا فكان أمرنا واحداً ،

وكان الوليد رجلاً محبّاً للعافية فقال : انصرف على اسم الله حتى تبايع مع جماعة الناس ، فقال مروان : لئنْ فارقك الساعةَ لا قدرتَ منه على مثلها أبداً حتى يكثر القتلى بينكم وبينه ، احبِس الرجلَ فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضربَ عنقه ، قال : فوثب الحسين فقال : يا بن الزَرْقاء كذبتَ والله [و]لؤمت لا تقدر ولا هو على ضرب عنقي، ثم خرج فقال مروان للوليد: لتندَمَنّ على تركك إيّاه ، فقال : يا مروان إنّك أردت بي التي فيها هَلاك ديني ، والله ما أُحبّ أن أملك الدنيا بحذافيرها على أن أقتلَ حسيناً ، إنّ الذي يُحاسَب بدم الحسين لخفيفُ الميزان عند الله يوم القيامة .

وقال بعض أهل العلم : حجب الوليد بن عُتْبة أهلَ العراق عن الحسين ، فقال له : يا ظالماً لنفسه عاصياً لربّه ، عَلامَ تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقّي ما جهِلته وعمّك معاوية ؟ فقال الوليد : ليت حلمنا عنك لا يدعو جهل غيرنا إليك ، فجِناية لسانك مغفورة لك ما سكنَتْ يدُك فلا تَخْطِرْ بها فيُخْطَر بك .

وخرج الحسين إلى مكة في بنيه وإخوته وبني أخيه وجُلّ أهل بيته غير محمد ابن الحَنَفيّة فإنّه قال له : يا أخي أنت أعزّ الناس عليّ ، تَنَحَّ عن مروان ببيعتك وعن الأمصار ، وابعث رسلك إلى الناس فإن أجمعوا عليك حمدت الله على ذلك ، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله دينك ومروءتك وفضلك ، إنّي أخاف أن تدخلَ بعضَ الأمصار ويختلفَ الناسُ فيك ويقتتلون فتكون لأوّل الأسنّة ، فإذا خيرُ الناس نفساً وأُمّاً وأباً قد ضاع دمه وذَلّ أهلُه ، قال : وأين أذهب يا أخي ؟ قال : تنزل مكة فإن اطمأنت بك الدار وإلّا لحقتَ باليمن ، فإن اطمأنت بك وإلّا لحقتَ بِشَعَفِ الجبال حتى تنظر

إلى ما يصير أمر الناس ويَفْرُقَ لك الرأي ، فأتى مكة وجعل يتمثّل قول الشاعر :

لا ذَعَرْتُ السَوامَ في وَضَحِ الصُبْـ ـحِ مُغيراً ولا دُعيتُ يزيدا
يَوْمَ أُعْطي مَخافةَ المَوْتِ ضَيْماً والمنايا يَرْصُدْنَني أنْ أَحيدا[١]

ومضى الحسين إلى العراق فقُتل ، وقد كتبنا حديثه مع أخبار آل أبي طالب .

وقال المدائني : كتب يزيد إلى ابن الزبير يدعوه إلى بيعته فكتب ابن الزبير يدعوه إلى الشورى ، وكان فيما كتب به يزيد :

لَوْ بِغَيْرِ المـاءِ حَلْقي شَرِقٌ كُنْتُ كالغَصّانِ بالماءِ اعْتِصاري[٢]

فأذكرك الله في نفسك ، فإنّك ذو سِنّ من قريش ، وقد مضى لك سَلَفٌ صالحٌ وقَدَمُ صِدْقٍ من اجتهاد وعبادة ، فارْبُبْ صالح ما مضى ولا تُبطل ما قدّمتَ من حَسَنٍ ، وادخل فيما دخل فيه الناس ولا تردّهم في فتنة ولا تُحِلّ حَرَمَ الله . فأبى أن يبايع ، فحلف أن لا يقبلَ بيعته إلاّ في جامعة .

---

١ ـ ديوان يزيد بن مفزع الحميري ـ ط . بيروت ١٩٨٢ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .
٢ ـ ديوان عدي بن زيد العبادي ـ ط . البصرة ١٩٤٥ ص ٩٣ .